«القدس في المنفى».. الصور قبل أن تطير!

طارق حمدان- عمّان

١

«القدس في المنفى»!

إذن، ليس الإنسان وحده المعرّض للنفي، بل المدن أيضاً، هذا ما يحاول مشروع «القدس في المنفى» قوله، من خلال استفزاز الأذهان، الصور، الكلمات، المخيلة، الذكريات.

من منّا لم يتخيّل القدس؟ ومن منا رآها؟ وكم من الصور تقفز إلى أذهاننا عند مصادفة اسمها أو سماعه في سياق ما. دعوة لكتابة الصورة، صورة مدينة منفية، نراها أحياناً في أحلامنا، في شاشة التلفزيون، في الكتب، في الأصوات. فكرة أن تكتب الصورة تشبه كثيراً أن تلتقطها بالكاميرا. وهنا توثيق للحكايات قبل أن تطير، فالحكايات كأصحابها كثيراً ما تطير في النهاية!

٢

«القدس في المنفى» مشروع فنّي تقوم فكرته على إسقاط مفهوم المنفى على المكان، وهو يعلن ببساطة أن القدس «مدينة منفية»، تماماً مثل أهلها الفلسطينيين والعرب الممنوعين من الوصول إليها أو حتى مجرد «زيارتها». وبما أن الفن اليوم صار مرتبطاً بالمفاهيم والبحث، فمشروع القدس يهدف إلى «فحص صورة القدس الرمزية وإخراجها من بلادة الشعار إلى ديناميكية الحياة وأسئلة الفن، لتجديد هذه الصورة وشحنها بعناصر ممانعة لا تطويها التحولات التي يتم فرضها على أرض الواقع».

لا تقتصر دعوة المشاركة بـ«القدس في المنفى» على الأفراد الفلسطينيين في الشتات أو في الوطن من الذين لا يستطيعون الوصول إلى القدس ولكنها تشمل العرب الذين يتم منعهم هم أيضاً من وصول القدس. فيمكننا أن نقرأ على الموقع الالكتروني (www.jerusalem-in-exile.net) مجموعة كبيرة من المشاركات الحميمة التي تلقاها «القدس في المنفى» باللغتين العربية والإنجليزية من عرب من فلسطين والأردن والولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وهولندا والبحرين والمغرب والسعودية والإمارات العربية. كما نجد أن دولاً أخرى لم تصل منها مشاركات بعد وما زالت خارطة دول العالم على صفحة المشروع تنتظر أن تضاء.

«القدس في المنفى» يدعو الجميع للمشاركة عبر إرسال وصفهم لصورة القدس في مخيّلاتهم، ليتم تجسيدها في أعمال فنية فوتوغرافية. أما المقصود بالصورة الذهنية فهي «أول صورة تخطر في مخيلة الإنسان بمجرد ذكر اسم القدس، بناء على تجربته الشخصية».

المشاركة في المشروع ما زالت متاحة، ولا تستدعي سوى كتابة وصف لأول صورة تخطر ببالك عن القدس إلى الايميل التالي: participate@jerusalem-in-exile.net

حيث ستنشر على الموقع الالكتروني للمشروع، وقد تنشر بعد فترة في كتاب أو معرض فني وقد تحولت أيضاً إلى صورة فوتوغرافية.

قراءة هذه المشاركات- وأكثرها من الشباب- تشبه رحلة في صورة القدس وقصص المنفيين وذكرياتهم وتوقهم للعودة، وخصوصاً أن سنة ٢٠٠٨ تصادف الذكرى الستين للنكبة وبداية عزل القدس عن محيطها العربي.

الفنان ستيف سابيلا سيحول الصور الذهنية التي تصل «القدس في المنفى» إلى لوحات فوتوغرافية، وبعد ذلك ستكون بحسب سابيلا «جزءاً من معرض عالمي حول صورة القدس، وسيتم جمعها في كتاب فني وربما عدة منشورات... لكن ما يهمنا الآن هو أن نتلقى مشاركات من كل إنسان لا يستطيع وصول القدس لأنها محتلة».

فكرة مشروع «القدس في المنفى» جاءت من الفنان ستيف سابيلا وينفذها مع الشاعر نجوان درويش من داخل القدس، والمشروع يثير الأسئلة حول «صورة القدس»، ويسعى

صور موضوع "القدس في المنفى": ستيف سابيلا، فلسطين

لأن يكون بؤرة تبادل أفكار وتواصل بين الفلسطينيين في الشتات، وأيضاً العرب، حول صورة القدس ورمزيتها.

من جهته يقول الشاعر نجوان درويش أن المشروع «رغم كونه بحثاً في العلاقة البصرية مع مدينة القدس وان منطلقاته فنية بالأساس، إلا أنه واع تماماً لدوره كفن في فترة تحرر وطني، وعليه فإنه يسعى لخلق تواصل بين الفلسطينيين في الشتات بأجيالهم المختلفة وأماكن وجودهم المتعددة مع القدس كفكرة جامعة».

يبدو «القدس في المنفى- ذكريات مُجسّدة» مشروعاً فنياً فريداً من نوعه، وقد لفت إليه الانتباه منذ إطلاقه عام ٢٠٠٦. فهو من جهة مشروع فني عربي عن القدس المحتلة من قبل مبدعين فلسطينيين موجودين داخل القدس، يواجهون من خلاله عشرات المشاريع الدعائية الإسرائيلية عن المدينة المحتلة التي تحاول نفي الهوية العربية عن القدس، وهو من جهة أخرى مشروع جماعي يتوجه إلى الأفراد الفلسطينيين (والعرب أيضاً) عبر العالم ليرسلوا له صورهم الذهنية للقدس حتى يتم نشرها على الموقع الالكتروني - وهو موقع بخمس لغات عالمية- ليتم في ما

بعد تحويلها إلى صور فوتوغرافية فنية. وكون المشروع يتم على شبكة الانترنت بخمس لغات هي العربية والاسبانية والانجليزية والفرنسية والألمانية فإن ذلك يتيح نقل صورة القدس العربية إلى العالم الذي يتعرض لضخ إعلامي كبير يستعمل الفنون لإظهار صورة القدس كـ«مدينة إسرائيلية»!

سور/سوار

السور سوار، والألف شمعة لإضاءة عتمة السور. في المرة الأولى حين دخلت «القدس القديمة» شبيهاً بقطة ليلية، انكشف الأفق، العربات، المارة، الهواء، الباعة المتجولون. لم يكن هنالك وقت لأحلام يقظة.

السور – الذي كثيراً ما تساءلت عن محتواه- حقيقة تجرّدت من شكلها المحكي، في قصص ما قبل النوم.

كان السور يتطلب خيالا تدرّب على الاستدارة، للإحاطة به.

قصة نوم طفولية، مسيح يغنّي، رماة سهام عائدون من حرب قريبة، صبية صغار يتراكضون حول بائع قصب، سيّاف يعرض بضاعته ولا احد يشتري منه الرياحين.

كل هذا كان في تلك المرة اليتيمة. وفي المرة الثانية عُثر علي كلص ينوي سرقة النظرات والصور. لم أتمكن من الوصول؛ فتدربت على المجيء، ليبقى السوار يسكننا كإله يغني ذاكرته المشرعة، ليظل يسكننا نحن من بداخله في الخارج.

طارق..

ما الصورة الأولى التي تخطر ببالك عن القدس؟

ضربة شمس في الطريق إلى القدس!

صديقي نجوان، في حزيران من عام ١٩٩٧، ركبت في سيارة مرسيدس أجرة من نابلس متجهاً إلى رام الله لأركب أخرى من نفس النوع منطلقة إلى القدس عبر طريق حزمة – عناتا، أي الطريق الالتفافي عن حاجز الرام آنذاك وبكلمة أصح (القدس على اللفة) وبكلمة أدق أكثر (تهريب)، وفي كل مرة كنت أرتكب فيها هذه المغامرة كنت لا أستطيع النوم في الليلة التي قبلها وأنا عادة لا أستطيع النوم وأنا في حالة سفر وبكلمة أدق أنا كائن ليلي قلق ولا أنام بسرعة.

وإذ بالسيارة قطعت بلدة حزمة ومتجهة نحو «عناتا» لأتفاجأ أنا والركاب بطابور من السيارات يقف وينتظر دوره للتفتيش يعني (حاجز عسكري) وبكلمة أدق (حاجز طيَّار)، فلم يكن بوسعي في هذه اللحظة سوى النزول من السيارة والرجوع لأني لا أملك التصريح اللازم لدخول المدينة، وفعلاً نزلت من السيارة وأردت الذهاب الى الاتجاه الآخر من الشارع لأنتظر سيارة آتية من الجهة الأخرى ولكن وقوف بعض الجنود على مستوى النظر الذي سأقف عنده منعني من ذلك، واضطررت أن أجلس عند بعض الصخور الكبيرة الموجودة على جانب الطريق لأنتظر على الأقل ذهاب الجنود لأتمكن من الدخول إلى القدس أو الرجوع إلى رام الله، وحينها سرقني النوم ونمت بسرعة واستيقظت بعد ساعة ونصف الساعة من حرارة الشمس الشديدة على رأسي وكانوا حينها قد انصرفوا هم وحاجزهم (الوهمي) وأخذت أول سيارة ذاهبة إلى القدس، وعند باب العامود هممت بالنزول من السيارة وفي تلك اللحظة مثل كل مرة كدت أن أسقط وكأني لا أستطيع الوقوف على أرجلي وهذا من جراء (الشمس) التي ضربتني وأنا نائم، وبكلمة أدق يقولون (أكل ضربة شمس)، والآن تسألني يا صديقي الشاعر ما الصورة الأولى التي تخطر ببالك عن القدس؟ صعب صعب يا صديقي .

انتظر انتظر، تذكرت، الصورة هو أني إلى هذه اللحظة كلما تخطر ببالي هذه المدينة، أو آتى أنا على بالها أحاول أن أتذكر من كان يضربني كلما وصلت إلى هناك.

هاني زعرب، باريس
hanizurob@yahoo.com

موقع مشروع القدس في المنفى:
www.jerusalem-in-exile.net